

حب النبي ﷺ في شعر اقبال

الدكتورة نجمه بانو ☆

الدكتور الحافظ عبدالغني الشيخ ☆☆

سعيده بانو ☆☆☆

إن العلامة محمد اقبال، شاعر الشرق والإسلام، قد كان شاعرا نابغة ومفكرا اسلاميا وفيلسوبا بارعا وهو الذي جاء بفكرة انشاء باكستان كما أنه نادى بالوحدة الإسلامية والحرية الشاملة للبشرية كافة، فهو قايده ومفكر في نفس الوقت ولكن، فوق ذلك كله، هو شاعر قد تناول شتى فنون الشعر فأبدع فيها ومن ذلك مدحه لرسول الله ﷺ وهذا الجانب من شعره هو موضوع حديثنا الآن وسوف تناوله على وجه الإجمال والاقتضاب لأنه لم يأت بديوان مستقل في المدح النبوي كما أنه لم ينتج المطبوعات من القصائد الشعرية على دأب شعراء العرب والعجم أو على منوال شعرائنا بالاردية وغيرها من اللغات الإسلامية إلا أن اقبال قد ابدع قطعاً شعرية رائعة وأبيات مفردة نادرة لن تجد لها مثالا أو نموذجا عند غيره من الشعراء وإنما هي أبيات وقطعات شعرية نجدها متفرقة مبثورة في طيات دواوين اقبال الشعرية المتنوعة كما أننا نجد اللآلئ والحواهر متناثرة في أعماق البحار، وبرغم ذلك فاشعاره تمثل قمة فن المديح النبوي.

وقد مدح اقبال النبي ﷺ لأنه كان قد رزق بحبه الصادق العميق وقد كان هو صادقا في مدحه له ﷺ لأنه كان قد يؤمن اقبال ايمانا صادقا قويا ولأنه كان قد عرف بأن مستقبل المسلمين والناس جميعا إنما هو يقصر على الإيمان والاتباع بما جاء به المصطفى ﷺ من الدين الإسلام الذي يضمن الحياة الكريمة الفاضلة للناس جميعا.

ليس ايمانه الإيمان الحاف الخشب، الذي هو فقط عقيدة أو تصديق بسيط، بل هو مزيج اعتقاد وحب، يملك عليه القلب والمشاعر والنفكير، والإرادة والتصرف والحب والبغض. وقد كان شديد الإيمان بالإسلام وقوى العاطفة، شديد الإخلاص والإجلال لرسول الله، متفانيا في حبه مقتنعا بأن الإسلام هو الدين الخالد الذي لا تسد الإنسانية إلا به، وإن النبي ﷺ هو خاتم الرسل والبصير بالسبل، وامام الكل. (١)

☆ الأستاذة المشاركة، جامعة الكلية الحكومية للنساء، مدينة تاؤن فيصل آباد.

☆☆ مدير إدارة اللغات جامعة جامشورو السنده.

☆☆☆ محاضرة جامعة الكلية الحكومية للنساء فيصل آباد.

كل شاعر له أسلوب شعري كالعاشق فقط لكن منهم يخيل نفسه محبا للرسول و رسول الله ﷺ محبوب له و يثنى على جماله وحسنه وملامح وجهه في الغالب ويتذك أوصافه الروحية و فضائله الأخلاقية، ولكن اقبال قد بدل الشعر المدحى بالشعر القومي، معبرا عن المصائب والآلام التي كان المسلمون يواجهونها في عصرهم فقد عرضها العلامة اقبال على رسول الله ﷺ واحدا بعد واحد و طلب منه حلها بدعائه لأمته۔

كان اقبال فيلسوفا، نابغا، مفكرا عظيما، شاعرا مبدعا، زعيما سياسيا ومحبا للنبي ﷺ. وليس له ديوان معين في مدح سيدنا رسول الله ﷺ ولا نجد له قصائد طويلة في المديح النبوي الشريف بل توجد الأبيات المدحية في شعره متفرقة۔

حذق اقبال علم الغرب ثم أبلغ المسلمين الرسالة التي بصرتهم بحقيقة الاسلام وعظمته وملأت قلوب الشباب الغافل النائم بحب المصطفى ﷺ والقرآن۔ وكان اقبال طروبا في حب النبي ﷺ وهذا هو سبب انسجام شعره مع حياته ونجد كثيرا من المواقف في حياته التي تدل على علاقته الصادقة بالحبيب المصطفى ﷺ۔ يقول في ارمغان حجاز:

بجشم من نكه آورده تست
فروغ لا اله آورده تست
دو حارم كن يصبح من رانى
شبنم را تاب مه آورده تست (۲)

”أنت الذى جلبت النظر إلى عيني أنت الذى جئت بنور ”لا إله“ واجهنى بصبح ”من رانى“ (۳) فأنت الذى جئت بنور القمر لليلي.“

وكان العلامة يؤمن بأنه يمكن نجاح الدنيا والآخرة في حب الحبيب ﷺ ومن هذا دعا شاعرنا الأمة الإسلامية إلى حب الرسول وبين عظمة حب سيدنا رسول الله ﷺ فيمن أبياته الفارسية والأردية۔

بھٹکے ہوئے آہو کو پھر سوئے حرم لے چل
”اهد الغزال الضمائل إلى المدينة المنورة“

وفى الأشعار الآتية يدعو اقبال الأمة الإسلامية إلى حب النبي ﷺ و اتباع سنته – عليه الصلاة والسلام:

بمنزل كوش مانند مه نو
دریں نیلسی فضا هر دم فزرد شو

مقام خویش اگر خواهی درین دهر

بحق دل بسند و راه مصطفی رو (۴)

”اقطع منازل سفرك كقمر جدید و أكبر فی هذا الفضاء الأزرق لو أردت مقامك فی هذا العالم

فاوثق قلبك بالحق واسلك سبيل الحبيب المصطفى ﷺ.“

و يقول فی ”پیام مشرق“:

هر که عشق مصطفی سامان اوست

بحر و بر در گوشه دامان اوست (۵)

”كل من يكون متاعه حب الحبيب المصطفى ﷺ يكون البر والبحر فی طرف ذيله.“

هنا يحضر إقبال ضريح الحبيب ﷺ و يطلب منه كرمه و فضله بعد ذكر حرمانه:

بهر دهلیز تو از هندوستان آورده هم

سجده شوقی که خون گردیده در سیمائی من (۶)

”إليك جئت فی وجود و مجد سیماء فوق تفور.“

و فی اسرار خود يقول:

در دل مسلم مقام مصطفی است

آبروئی ما ز نام مصطفی است (۷)

”مهجة المسلم مثنوی المصطفی عزة المسلم ذكرئ المصطفی.“

و فی بعض أشعاره يشكو أقبال الى روح رسول الله ﷺ حزن الأمة الإسلامية و ضياعها۔ ولم تبق حلاوة التحمس و

انطفاء شعلة الحياة و الإيمان فی نفوس العرب۔ و يقول:

لقد انتشر نظم امتك يا محمد! رسول الله ﷺ و بمن يستدع و يلجاء المسلم الكئيب و الحزين و الى من

يأوى و يستنجد منه عونا؟ لقد سكن بحر العرب الهائج المضطرب، و غابت من الأمة العربية ذلك الحب و الشوق

و اللوع الذي عرفت به فالي من اشكو حزني و المي؟ و ما ذا يفعل حادی امتك، و قد ضلّ سبيله، و انقطع من القوافل

و غابت المطايا و قد انتهى زاده و متاع السفر بالله! كل لي ما ذا يفعل رائد امتك و حامل دعوتك و الى أي مكان

يخلو سبيله، و الى من يغادر و اين يجد ركبہ؟

یخاطب اقبال الأمة الإسلامية داعياً إلى حبّ الحبيب ﷺ ويقول:

حرز جان کن گفنه خیر البشر
ہست شیطان از جماعت دور نز (۸)

”واحفظن ما قاله خیر البشر کل شیطان من الجمع نفر۔“

وفی المنظومة ”ایک حاجی مدینے کے راستے میں“ یقص قصّة الشاب الذی خرج من بیته قاصداً زیارة المدینة المنورة۔ وفی الطریق نبهت قافلته وقتل ذالک الشاب۔ ثمّ يعرض الشاعر أمامنا مشاعر الحاج الآخر ويشجعه باستمرار سفره ويقول لنفسه ألا تخف لأن :

خوف جاں رکھتا نہیں کچھ دشت پیائے حجاز
ہجرت مدفون یثرب میں یہی مخفی ہے راز (۹)

”لا يخاف الذاهب إلى القفار على حياته وتستحلى هذا السر من هجرة رسول الله ﷺ۔“

وفی ”شفاخانہ حجاز“ یلقن اقبال درس محبة النبی ﷺ بأسلوب بديع عند ما يطلب أحد الواعظین من اقبال معونات مالية لتأسيس المستشفى فی الحجاز، یحیب اقبال قائلاً :

اوروں کو دیں حضور! یہ پیغام زندگی
میں موت ڈھونڈتا ہوں زمین حجاز میں (۱۰)

”یا سیدی! بشر بالحياة غيری، أما أنا فأتَمَنَّى أن أموت فی أرض الحجاز المقدسة۔“

وكان اقبال يتخیل أنه مسافر الى مكة والمدینة = شرفهما الله = یسیر به الركب على رمال و عساء، يتخیل، بشدة شوقه و حبه، أنها انعم من الحریر و ان کل ذرة من ذراتها قلب یخفق، فیطلب من السائق أن یمشی رویداً و یرفق بهذه القلوب الخفاقة۔ ثم یسعد بالمثل بین الرسول فیصلی و یسلم علیه بما یفتح الله به علیه۔ و ینتهر الفرصة، فیحدّثه عن نفسه، و بلاده، و الفترة التي یعیش فیها، و عن امته، و عن الازمات، و المشکلات التینعانیهما، و ما فعل بها الزمان و طوارق الحدّثان۔ (۱۱)

وفی المنظومة ”جواب شکوی“ نجد أروع نماذج فی مدحه ﷺ یقول :

قوت عشق سے ہر پست کو بالا کر دے
دہر میں اسم محمد سے اُجالا کر دے (۱۲)

”بقوة العشق سيطر على كل شيء فباسم محمد ﷺ شمس البرايا.“

ويقول في موضع آخر: (۱۳)

عقل ہے تیری سپر، عشق ہے شمشیر تیری
میرے درویش! خلافت ہے جہاں گیر تیری
ما سوی اللہ کے لئے آگ ہے تکبیر تیری
تو مسلمان ہو تو تقدیر ہے تدبیر تیری
کی محمد سے وفا تو نے تو ہم تیرے ہیں
یہ جہاں چیز ہے کیا لوح و قلم تیرے ہیں (۱۴)

”خلافة هذه الأرض استقرت بمحمدك وهو للدنيا سماء وفي تكبيرك القدسي يبدو صغيرا كل
ما ضمّ القضاء فيا من هبّ للاسلام يدعو وأيقظ صدق غيرنه الوفاء سترفع قدرك الأقدار حتى
تشاهد أنّ ساعدك القضاء وقيل لك احتكم دنيا وأخرى وشأنك والخلود كما تشاء.“
زار اقبال قبر حكيم سنائي عند زيارته افغانستان في نوفمبر ۱۹۳۳م وأنشد الغزل الذي في آخره أبيات
عديدة في مدح سيدنا رسول الله ﷺ:

عجب کیا گرمہ د پروین مرے نچیر ہو جائیں
کہ بر فزاک صاحب دولتے ستم سر خود را (۱۵)
”إن أصيد القمر والنجوم فلا عجب فيه لأنني صرت صيد حبيبي وصاحبي.“
وہ دانائے سبل ختم الرسل مولائے کل جس نے
غبارِ راہ کو بجٹھا فروغِ وادی سینا

”إنه هو علام سبيل الهداية وخاتم النبيين ومولا وامام الكل الذي وطأت قدمه الحصباء
واعطى ذرات رمل المدينة المنورة شرفا يضاهي شرف واد سيناء.“

نگاہ عشق و مستی میں وہی اوّل وہی آخر
وہی قرآن وہی فرقان وہی یلین وہی طہ

”هو الأوّل (في الخلق) والآخر (في البعث) عين الحب والغرام، وهو القرآن والفرقان وهو

الذي يسمى يس وطفه۔“

ولقد تناول اقبال واقعة المعراج وهذه معجزة مهمة في التاريخ الاسلامي وكتب التفسير والحديث والسيرة والتاريخ مليعة بالأبحاث عنها۔

وقد أدرك اقبال بعد تفكير حقيقي جوهرية في هذا المعراج ربما قد تكون خفيت على كثير من المسلمين فيقول:

سبق ملا ہے یہ معراج مصطفیٰ سے مجھے
کہ عالم بشریت کی زد میں ہے گردوں (۱۶)

”قد علمت من معراج النبي - ﷺ - أن البشر يستطيع أن يتغلب على السموات العلى۔“

ويقول نجيب الكيلاني: (۱۷)

إن الذرة الضئيلة الهزيلة اذا سرى في كيانها الشوق لاقت الصقر القوى الحسور، ساخرة منه هازئة بقوته، فيقر من امامها، ولا عجب في ذلك، فإن الحماس قد قلب أنفاسها الراحلة الى شرر متقد، وهكذا المسلم الحق اذا ما اعتصم بالشوق والعشق وكانت له غايات ومقاصد أصبح كالسهم المنطلق الذي تسمو غايته عن التوافه والصغائر، فهي غاية لا شبهة لها غير الكواكب، في علوها، وفي المعراج أسرار هذا العشق، و مغزى قوة الروح العاشقة۔

وذرة طار فيها الشوق صاعسة

تغير في عرصات الشمس والقمر

يا الموج.... تلقى الصقر مقدمة

دراجة تملأ الأنفاس من شرر

المسلم السهم والأفلاك غايته

سرائر الروح في المعراج فادكر

ويتبع اقبال نفس الخطوات التي سار عليها سيدنا حسان بن ثابت وكل لفظ يخرج من قلمه

يحمل رسالة حب الحبيب ﷺ.

يقول:

لوح بھی تو، قلم بھی تو، تیرا وجود کتاب

گنبد آگینہ رنگ تیرے محیط میں حباب

”يا رسول الله! إن علم اللوح والقلم من علومك، وإن شخصية قرآن صامت، وإنك محيط

بالآفاق بعلمك وكرمك ورحمتك، والسماء الزرقاء كالحجاب بين يدي سعتك۔“

أسلوب اقبال في مدح النبي ﷺ :

يقول الأستاذ شفيع منصور عن شعر اقبال :

”إنه خلال حديثه عن الفلسفة والأدلة الكلامية عندما يصل إلى ذكر رسول الله ﷺ ينسى

نفسه.“ (١٨)

لم يزل حب النبي ﷺ يزد. ويقوى مع الايام، حتى كان في آخر عمره اذا جرى ذكر النبي ﷺ في مجلسه أو ذكرت المدينة = على منورها الف سلام = فاضت عينه، ولم يملك دمه. وقد ألهمه هذا الحب العميق، معان شعرية عجيبة منها قوله، وهو يخاطب الله سبحانه وتعالى - ”أنت غنى عن العالمين وأنا عبدك الفقير فاقبل معذراتي يوم الحشر، وان كان لا بد من حسابي، فأرجوك يارب ان تحاسبني بنجوة من المصطفى ﷺ، فاني استحي ان انتسب اليه واكون في أمته، واقترف هذه الذنوب المعافي.“ (١٩)

- يظهر في شعره لوعة حبه للنبي ﷺ وتلور أحوال الأمة الإسلامية ومخاطبته لسيدنا رسول الله ﷺ عن هذه الأحوال.
- ويرى إقبال أن مقصود إيجاد الخلائق هو رسول الله ﷺ وكل العالم الإنساني يدور حول هذا المحور وهو يوفق بين مدح سيدنا رسول الله ﷺ وأحوال الأمة الإسلامية وهو يعرض عن الأساليب القديمة في مدح النبي ﷺ ويتكرر صورا جديدة في الثناء على النبي ﷺ والتي يدها أساسا الشاعر الهندي الكبير الطاف حسين الحالى إلا أن إقبال وصل في الحسن والإبداع لهذا الأسلوب مبلغ الذروة - وتوجد نماذج لهذا الأسلوب خاصة في المنظومات ”ذوق شوق“ و”هلال“، و”حضور رسالت مآب مين“، و”صديق“ وغيرها.
- يذكر إقبال أحيانا وقائع من التاريخ الاسلامي وإلى الجانب الآخر يذكر سير أصحاب سيدنا رسول الله ﷺ خصوصا سيدنا بلال - ويقارن بينه وبين الاسكندر والقيصر ويثبت أن حب الحبيب ﷺ أفضل من السلطة والمناصب ويذكر شهداء طرابلس وعلاقة أصحاب رسول الله ﷺ معه ولا نجد هذه المنظومات الأسلوب الصريح في المدح ولكن يستقى ذلك ذكر مآثر وبطولة سيدنا رسول الله ﷺ وأصحابه - وهذا الأسلوب أبلغ من غيره من الأساليب في التأثير على الناس.

- في بعض الأحيان نجده يمدح سيدنا رسول الله ﷺ بطريقة التي مدحه بها ربّه في القرآن :

آنكه مهتاب از سر آشش دريم
رحمت او عام اخلاش عظيم (٢٠)

وفي هذا البيت يبين اقبال خلق سيدنا رسول الله ومشيرا إلى الآية القرآنية :

”وانك لعلى خلق عظيم.“ (٢١)

يقول السيد يونس شاه : (٢٢)

”وأول هدف من المدح هو اظهار عظمة سيدنا رسول الله وإيضاح أهمية وضرورة بعثه أمام

الناس. ومن هذه الناحية يستحق شعر اقبال كله أن يوصف بمدح سيدنا رسول الله-

وبالأسلوب الذي يجعل مقصد النبوة وعظمة الرسالة - موضوع شعره - نادر في تاريخ الشعر.“

- أعطى إقبال شعر مدح الحبيب المصطفى البصيرة الحكيمة ولا يقص لنا في شعره التدني والعروج للأمة

الإسلامية وجهود الحركات الإسلامية للنهضة. وهذه هي السمات العظيمة التي لا يوجد فيها كفو له ليس

في الشعر الأردوي فحسب بل في الشعر العربي والفارسي أيضاً.

- أخذ اقبال الأسلوب الشعري في مدح رسول الله من النظامي، والرومي والحامي، والسعدي، والأنواري،

والعرفاني، والعطاري، وبيدل وغني كاشميري، ومومن وشهيدى، وسودا، وأمير خسرو، هؤلاء هم الشعراء الذين

قد تلقى العلامة اقبال منهم منهمجهم في التعبير عن الحب النبوي ﷺ -

فكان شعره في النبي الكريم ﷺ من أبلغ اشعاره وأقواها، وكان حشاشة نفسه، وعصارة عمله وتجاريه، وكان

تقيرا عن امته. وتعبيرا عن عواطفه.

وجملة القول ان اقبال كان شاعر النبي في شبه القارة الهندية وشعره ملئ بحب النبي والفكر القرآني-

كما قال استاذنا الفاضل الدكتور ظهور اظهر في مقدمة كتابه اقبال العرب على دراسات اقبال : (٢٣)

”أما شعر اقبال فهو شعر اسلامي خالص بمعنى الكلمة لأنه يقوم على الرسالة الخالدة التي

جاء بها النبي العربي محمد ﷺ وهو يقوم على الفكر القرآني الطاهر فمنه اتخذ أسس الحياة و

القيم الخلقية والمثل العليا ومنه استعار المعاني والأفكار أنك لتقرأ شعره الأردوي والفارسي

فتجده وكأنه ترجمة لآيات القرآنية أو تعبير عن الحكم النبوية.... الخ“

الهوامش

- ١- روائع اقبال، ص: ٣٧-٣٨.
- ٢- ارمغان حجاز، ص ٥٢.
- ٣- إشارة إلى الحديث: "من رأى فقد رأى الحق".
- ٤- ارمغان حجاز، ص ٦٥.
- ٥- پیام مشرق، ص ١٦.
- ٦- نفس المرجع، ص ٩١.
- ٧- اسرار خودی، ص ١٤ ترجمة للدكتور عبدالوهاب العزام.
- ٨- رموز بیخودی، ص ١٢٤.
- ٩- بانك درا، ص ١٧٣.
- ١٠- نفس المرجع، ص ٢١٠.
- ١١- روائع اقبال، ص ٤٢.
- ١٢- نفس المرجع.
- ١٣- نفس المرجع.
- ١٤- نفس المرجع، ص ٢٢٠.
- ١٥- بال جبریل، ص ٩٧.
- ١٦- نفس المرجع، ص ٢٣٤.
- ١٧- اقبال - الشاعر السائر، ص: ٢٣.
- ١٨- ماهنامه ادبیات إبریل ١٩٨٠ م، ص ٢٤.
- ١٩- روائع اقبال، ص: ٣٧.
- ٢٠- رموز بیخودی، ص ٢١٢.
- ٢١- سورة القلم: ٤.
- ٢٢- اردو میں نعتیہ شاعری، ص ٤٥٠.
- ٢٣- اقبال العرب علی دراسات اقبال - مقدمة.

